التوازي في سورتي التكوير والشمس

م .م . حبيب حسين علي حمزة
كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء

Parallelism in Surat Al-Takwir and Al-Shams

Asst.Lect. Habib Hussein Ali Hamza
College of Islamic Sciences / University of Karbala

ملخص البحث

يهدف هذا البحث المتواضع إلى دراسة التوازي في سورتي (التكوير والشمس) بوصفه ظاهرة موسيقية دلالية ودراسة التوازي يتلخص في تكرار الألفاظ ، وتكرار الأصوات وتكرار الجمل ، وذلك من حيث الايقاع الداخلي والتوازي صيغة تركيبية بين متتاليتين لغويتين ، وله أنواع منها الصوتي والتركيبي، والدلالي ويتحقق التوازي إمّا بالترادف ، أو بالتضاد وقد تناول البحث في المقدمة مفهوم التوازي في اللغة والاصطلاح ، وأهمية التوازي ؛ وقسم البحث إلى مبحثين: الاول : درس سورة التكوير، والمبحث الثاني : تطرق إلى سورة الشمس ، ووقف البحث فيهما بين يدي السورتين ، وبيّن أهم الاهداف والمحاور والمقاصد فيهما ، وهذا الجهد المتواضع والمقل إن كنت قد أصبتُ فيها فقد منّ الله سبحانه تعالى عليَّ ، وإن أخطاتُ فهذا مني ومن الشيطان اللعين الرجيم وصل الله على خير الأنام محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الكلمات المفتاحية : التوازي ، الألفاظ ، الأصوات ، التكرار ، القرآن

Abstract

This modest research aims to study parallelism in the two surahs (Al-Takwir and Al-Shams) as a semantic musical phenomenon and the study of parallelism is summarized in the repetition of words repetition of sounds and repetition of sentences in terms of internal rhythm and parallelism a synthetic formula between two linguistic sequences and it has types including phonemic structural and semantic. Parallelism is achieved either in tandem or contradiction and the research in the introduction dealt with the concept of parallels in language and convention and the importance of parallelism and divided the research into two topics: The first studied Surat al-Takwir and the second study dealt with Surat al-Shams and the search for them was stopped between the hands of the two surahs and the most important objectives and axes And the purposes in them and this humble effort and saying that if I was wronged by God Almighty on me and if I sin this is from me and from the accursed Satan.

المقدمة

الحمد لله الذي يهب كلّ يدٍ ضارعة حوله وقوته ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيد العلماء وقدوة المتعلمين وآله وسلم تسليمًا كثيرًا بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمّا بعد :

إنّ مفهوم التوازي: هو وسيلة نقدية تُعنى بالتوزيع والتنسيق الصوتي ، واللفظي والايقاعي في الصياغة الشعرية وقد صاغ (الجزريون) القدماء على أوازن وإيقاعات متوازية ، فقد كان التوازي وسيلتهم العروضية واللغوية في قرض الأشعار؛ ولذا كان جُل اعتماد الشاعر لإيجاد الإشباع الشعري المطلوب هو أن يصيغ سطوره الشعرية عبر التكرار، والموازاة في كل مستوى لغوي ممكن [١] .

التوازي في اللغة :

تناولت المعاجم العربية لفظ (وزى) بالتوضيح والتفسير حيث ورد في العين معنى الازاء : المحاذاة تقول هو إزاء فلان أي بحذائهِ وازايته ازيا أي اتبته من وجه لا ختله ، وكل شيء ينظم إلى شيء فقد ازى اليه يازي ازيا [٢].

ويؤكد ابن منظور في لسان العرب إن الفعل (وزى) يُقصد به :

وزى الشيء يزي: اجتمع وتقبض يقال: وزى فلان فلانًا الأمر، أي غاظه ووازه الحسد، قال يزيد بن الحكم :

اذا ساق من أعيار صيف مصامة وزاه نشيجٌ عندها وشهيق

والموازاة هي المقابلة والمواجهة [٣] ، ونجد التوازي في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((إنّ الله عز وجل خلق الرحمة يوم خلقها مائةٍ رحمةٍ فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة وأرسل في خلُقه كُلهِم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافِرُ كلّ الذي عند الله من رحمته ،

(١) ينظر: الأسلوبية الصوتية ، محمد صالح الضالع ، ٤٦ .
(٢) العين الخليل ، ٤٠/ ٣٦٩ .
(٣) لسان العرب ابن منظور، ٥٣/ ٤٣٢٩-٤٣٢٩ .

لم ييأس من الرحمة ولو يعلمُ المؤمن بالذي عِندَ الله من العذاب لم يأمن النار)) فانظر كيف قابل صلى الله عليه واله وسلم بين الكافر اليائس، والمؤمن الراجي ، فلا ريب إنّ ظاهرة التوازي جلية في الحديث الشريف [١] .

التوازي في الاصطلاح :

التعريف الاصطلاحي مبني على التعريف اللغوي ، وله تعريفات عدة ومن هذه التعريفات نذكر :

منها قولهم : هو ((عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها ، وقد فُسِر ذلك بأنّ هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما البنية نفسها ، بحيث تكون بينهما علاقة متينة تقوم أمّا على أساس المشابهة ، أو على أساس التضاد)) [٢] .

وكذلك هو ((التشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري ، أو في مجموعة أبيات شعرية فهو التوالي الزمني الذي يؤدي إليه توالي السلسلة اللغوية المتطابقة ، أو المتشابه ويشمل العناصر الصوتية والتركيبية ، والدلالية وأشكال الكتابة ، وكيفية استغلال الفضاء ويفرض عادة أنّ الطرفين متعادلا الأهمية)) [٣] .

وأمّا التوازي في المعاجم الأدبية الأجنبية فقد عرفته بأنّه: ((عبارة عن عنصر شعري بنائي في الشعر يقوم على تكرار أجزاء متساوية)) [٤].

ويثبت من هذه التعريفات الاصطلاحية حدوث التوازي بين جملتين لغويتين أو أكثر تتداخل بينهما علاقة التشابه أو تضاد مما يحقق ترابط النص تماسكه

(١) الأسماء والصفات ، ابو بكر البيهقي ، ٢/ ٤٥٥ . وينظر: بلاغة التوازي في السور المدنية ١٧ (رسالة ماجستير) العربي عبد الله .
(٢) التوازي ولغة الشعر ، محمد كنوني ، مجلة فكر ونقد ٧٩ العدد١٨ ١٩٩٨م .
(٣) التشابه والاختلاف نحو (منهاجية شمولية) ، محمد مفتاح ٩٧ .
(٤) التوازي في شعر الشافعي ،عبدالله محمد الهبيل ، مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ،١٠٤ العدد (٣٣) حزيران ٢٠١٤.

أهمية التوازي :

للتوازي أهمية تتركز في ((تمايز اللغة الغنية في مبناها ومعناها ،عن اللغة العادية تمايزًا واضحًا يسهم فيه احتكامها لمنظومة قواعد متناقضة تُفرغ الألفاظ في قوالبها دلالاتها ، وتُصِحُبها بمحسنات لفظية ، ومعنوية من علم البديع شأنها إشارة المتلقي بتحسين الدلالات والإلهام في كشف جمالية إيقاعات تراكيبها)) [١] .

واللغة الشعرية الإيقاعية هي: ((إنّما يحصل لها ذلك عندما تكون متشابهة ومعانيها مختلفة لتتجلى فيها أهمية التوازي ، بعدّه قانونًا مُهمًا من قوانين الإيقاع يختص بالهندسة الصوتية والدلالة اللفظية ، وزخارفها على حد سواء حيث تصبح الدوال ومدلولاتها في سياقها مترابطة متماسكة ، تبرُز عبرها مواقع الجمال في اللغة الشاعرة شعرًا كانت ، أو نثرًا، فالتوازي يتخذ من اللغة التي رافقت الإنسان منذ أن صارت له وسيلة للتواصل نقطة انطلاق ووصول في الإنسان نفسه ، ينطلق منها مركبًا بين ألفاظها ليعود بها ذات رونقٍ بهي آخاذ ، وهو بهذا يتخطى في كل مستوياتها الصوتية ، والنحوية والدلالية أي أنّه شامل لبنية النص كلّها)) [٢] .

المبحث الأول : سورة التكوير

سورة التكوير :

التكوير: فواصل آياتها (تسنَّم) تسمى سورة كورت : لقوله تعالى في مفتتحها: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [٣] عدد آياتها: تسع وعشرون بإتفاق [٤] ،وثمان وعشرون عند أبي جعفر، وتسع وعشرون عند الباقين ، وزمان نزول السورة مكية بإجماع من المفسرين [٥] .

أهمية السورة وفضل تلاوتها:

(١) بلاغة التوازي في السور المدنية ، العربي عبدالله ١٩ رسالة ماجستير .
(٢) بلاغة التوازي في السور المدنية ، ١٩ .
(٣) بصائر ذوي التمييز ، الفيروز أبادي ، ١/ ٥٠٣
(٤) جمال القراء وكمال الأقراء ، السخاوي ، ٣١٣.
(٥) القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز ، المخللاتي ٣٣٩ .

ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((من قرأ سورة : إذا الشمس كورت أعاذه الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته)) [١].

وفي حديث آخر لرسول الله ﷺ: (من سرّه أن ينظر إلي يوم القيامة) كأنّه رأى عين (فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت) [٢] .

محور السورة وأهم أهدافها :

لسورة التكوير محورين الأول : تصوير أهوال يوم القيامة ومصائر الناس ، والثاني : تأكيد صدق ما اخبر به النبي صلى الله عليه واله وسلم من صلته بوحي الله تعالى وملكه ، ونفي الجنون عنه وصلة الشيطان به [٣].

وأهم مقاصد السورة ذكر أحوال يوم القيامة وأهوالها ، وبيان أنّ جبريل أمين الوحي ، وأنّه مكين عند ربه عز وجل [٤] .

والتكوير لم يثبت عن النبي ﷺ أنّه سماها تسمية صريحة ، فنزلت بعد سورة الفاتحة ، وقيل سورة الأعلى وهي السابعة في عداد نزول السور [٥] .

لقد ابتدأت السورة الكريمة ((ببيان القيامة وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل يشمل الشمس النجوم الجبال الأرض ، الإنعام والوحوش ، كما يشمل البشر؛ وذلك عبر الآيات ويهز الكون هزًّا عنيفًا طويلًا ، وختمت السورة ببيان بطلان مزاعم المشركين حول القرآن الكريم وذكرت أنّه موعظة من الله سبحانه وتعالى لعباده)) [٦].

(١) مجمع البيان ، الطبرسي ، ١٠/ ٢١٠ .
(٢) تفسير القرطبي ، ١٩/ ٢٢٦ .
(٣) التفسير الحديث ، دروزة ، ١/ ٤٩٩.
(٤) في رحاب التفسير ، كشك ، ٣٠/ ٧٨٧٤.
(٥) التحرير والتنوير ، ٣٠/ ١٣٩.
(٦) صفوة التفاسير ، الصابوني ٣/ ٥٢٣.

التوازي في سورة التكوير :

ذكر ابن عاشور إنَّ افتتاح هذه ((السورة بـ (إذا) مشوقًا ؛ لأنّ (إذا) ظرف يستدعي متعلقًا كما إنّه شرط يؤذن بذكر جواب بعده ، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال التمكن ، وخاصة الإطناب بتكرير كلمة (إذا) ، وتعدّ الجمل التي أضيف إليها اثنتي عشرة جملة فإعادة كلمة (إذ) بعد واو العطف في هذه الجمل المتعاطفة (إطناب) ، وهذا الإطناب افتضاء قصد التهويل من مقتضيات الإطناب والتكرار))[1] ، وهذا يعني إنّ هذه السورة بنيت من البداية على التوازي الذي تخلف الآيات)١-٨(، وقوله تعالى من)١٠-١١(على النمط التالي :

تواز + تكرار لفظي + توافق الفواصل

والتوازي يتمثل في القالب النحوي نفسه في الآيات الأخرى وهو كالتالي :

أداة الشرط + نائب فاعل + جملة فعل الشرط

إذ الشمس كورتْ

و إذا النجوم انكدرتْ

و إذا الجبال سُيرتْ

و إذا العشار عُطلتْ

و إذا الوحوش حُشرتْ

و إذا البحار سُجرتْ

و إذا النفوس زُوجتْ

و إذا الصحف نُشرتْ

و إذا السماء كُشطتْ

فقد تكررت أداة الشرط (إذا) ، وفي هذه الاعادة شرط الى أنّ المضمون كل جملة من

(١) التحرير والتنوير ، ٣٠/ ١٤٠ .

هذه الجمل مستقل بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بغض النظر عن تفاوت زمان حصول الشروط [١].

ويتبين من الجدول السابق إنّ كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يتكون من العناصر التركيبية الآتية :

اذا + اسم مرفوع + فعل ماض في صيغة مالم يسمى فاعله .

هذا التركيب النحوي الأسلوبي ، لم يتغير في هذه السلسلة الكلامية كلّها ، الأمر الذي يوحي بهذا التوازي التركيبي أطراف هذه السلسلة الكلامية .

ومن جانب آخر فإنّ البنية الصرفية لهذه المكونات فيه شئ من التوازي كذلك ، ففضلًا عن التشابه التكراري الماثل في (إذا) فإنّ جميع العناصر التركيبية التي تلت (إذا) إنّما هي من الاسماء ولم يأت شيء من الأفعال بل كان مقدرًا ، الأمر الذي يشير الى تشاكل هذه الوحدات الكلامية ضمن الأسلوب النحوي المخصوص [٢] .

ومن جهة أخرى فإنّ الفعل الماضي الذي اختتم به كل طرف من أطراف هذه المتوالية الكلامية كان مبنيًا للمجهول ، أو على زنة (انفعل) الذي يدل على ما يدل عليه المبني للمجهول فإنّ الأصل التطوري لصيغة البناء للمجهول بدأت من صيغة (انفعل) ، وبقيت هذه الصيغة دالة على مايدل عليه معنى المجهول إلى يومنا الحاضر، حتى إنّ صيغة (انفعل) تدل على البناء المجهول في اللهجات المعاصرة ، وتكاد تحل محلها في كافة الاستعمالات اللغوية في يومنا الحاضر [٣]

وأمّا بالنسبة لتوافق الفواصل فهذا واضح عن طريق تكرار حرف الراء في أغلبها (كورتْ انكدرتْ ، سُيرتْ ، حُشرتْ ، سُجّرتْ ، نُشرتْ) ، فحرف الراء في هذه التكرارات الصوتية التي تعدّ صوتًا مجهورًا يجمع بين الشدة والرخاوة هذا الصوت الذي حقق

(١) ينظر: التوازي في القرآن الكريم دراسة في النظم الصوتي والتركيبي، سهيلة زتون ،٥٤-٥٥ (رسالة ماجستير).
(٢) التوازي التركيبي الصرفي في القرآن ، إنصاف عبد الله الحجايا ، ٤٢ (رسالة ماجستير) .
(٣) ينظر: المصدر السابق .

بجهورته ضداً قوياً ليضفي بتكراره توازيًا صوتيًا على هذه الآيات مما جعل المعنى أكثر دقةً ووضوحًا [١] .

ولجعل المعنى متلائمًا مع بقية الآيات كان هناك حفاظًا على التوازي التركيبي رغم تغير التوازي الصوتي عن الأول من :

توازي + تكرار لفظي + توافق الفواصل

توازي + تكرار لفظي + طباق

فالآيتان ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ جاءت على القالب النحوي مع تكرار الآيات السابقة ، إلّا أنها تضمنت معنى الطباق الحاصل بين الجحيم والجنة ، فالشرط معطوف عليه باثنتي عشرة صورة ، ولكن جواب الشرط في الجميع واحد هو قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ وما يثبت التوازي الحاصل بين الآيات السابقة تقدم في كل جملة المسند اليه والأخبار عنه بالمسند الفعلي ، وإطالة ذكر تلك الجمل تشويق للجواب بعدها حفاظًا على التوازي الحاصل بينهم من الناحية التركيبية والصوتية [٢] .

أمّا التوازي في قوله تعالى: ﴿واللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فقد أخذت منحى مغاير عما سبق فكان على المنوال التالي :

توازي + تكرار لفظي + تقابل معنوي

فتوازنت الآيتان في تراكيبها فأخذتا السياق الاتي:

حرف قسم + اسم مجرور + ظرف + جملة اضافة

و الليل إذا عسعس

و الصبح إذا تنفس

فقد اخدت الآيتان التركيب نفسه مع تكرار لحرف الواو والظرف (إذا) ، وفي المستوى نفسه كذلك التقابل الحاصل بينهما اسهم في إبراز دور التوازي في تقوية المعنى وتوضيحه ،

(١) ينظر: التوازي في القرآن دراسة في النظم الصوتي والتركيبي ، ٥٥-٦٥.
(٢) التوازي في القرآن دراسة في النظم الصوتي والتركيبي ، ٥٦- ٥٧ .

كما يظهر التوازي الصوتي جليًا عبر تكرار الحرف الأخير نفسه وهو حرف السين [١].

ونستنتج مما سبق إنّ سورة التكوير بُنِيت على توازٍ دقيق في الصيغة التركيبية ، إذ إنَّ الآيات من (١-١١) قد أخذت القالب النحوي نفسه ، واختلفت في الآيتين (١٢-١٣) إلى توازٍ شمل بدايات القرائن حيث اشتركتا في الشق الأول ، وشمل الشق الأخيراختلافًا شمل في الطباق الحاصل بين القرينتين ، واستمر هذا النوع بين الآيتين (١٧-١٨) على الشق الأول ، وجاءت هذه السورة ممتزجة بين توازٍ دقيق في الصيغة التركيبية ، وتوازٍ على المستوى الصوتي وهذا مما يظهر الجانب الجمالي لهذا الفن [٢] .

المبحث الثاني

سورة الشمس :

سميت مكية بالاتفاق ونزلت بعد سورة القدر، ونزلت بعدها سورة البروج وتُناظرها في السور المدنية الأولى سورة الطارق ، ولا نظير لها في غيرها وتبلغ عدد آياتها خمس عشرة آية عن المدني الأولى والمكي وست عشرة عندهما في اختلافهم في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [٣] ، وفي سورة (الشمس) بيان شارح للنجدين، إذ يقول سبحانه تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ۝٧ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ ثم أشارت الآيات بعد هذا إلى موقف الإنسان من هذين النجدين، إذ يقول جل شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها ۝٩ وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾ إذن المناسبة بين سورة البلد التي قبلها ويبينها ظاهرة [٤] ، والمواضيع التي تناولتها السورة :

إذ تذكر سورة الشمس في ثناياها الحديث عن موضوع مهم هي :

إنّ فلاح الإنسان في تزكية نفسه وتنميته إنماء صالحًا بتحليتها بالتقوى وتطيرها من الفجور والخيبة والحرمان من السعادة لمن يدسيها ، وهو يعرف التقوى والفجور بتعريف

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ٥٥-٦٥.
(٢) المصدر السابق ، ٥٧.
(٣) القول الوجيز ، ٣٤٧ .
(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ، الخطيب ، ١٦/ ١٥٨١ .

إلهي وإلهام باطني ، والشاهد على ذلك بما جرى على ثمود من عذاب الاستئصال عند تكذيبهم لرسوله صالح وعقر ناقته وفيه تعريض لأهل مكة ومن سياق السورة فهي مكية[١] .

وللشمس كما معلوم دور هام وبنَّاء جدًا في الموجودات الحية على ظهر البسيطة فهي إضافة إلى كونها مصدرًا للنور والحرارة ، فتعد مصدرًا لغيرهما من المظاهر الحياتية كحركة الرياح وهطول الأمطار ونمو النباتات ، بل حتى النفط والفحم الحجري كل واحد منها ترتبط بنظرة دقيقة بنور الشمس [٢] .

وبيّن الله تعالى في نهاية آيات سورة البلد مصير، ونهاية الكفار يوم القيامة وذكر في سورة الشمس عقاب بعض هؤلاء الكفار في الدنيا ألا وهو الهلاك [٣] .

أهمية السورة وفضل تلاوتها :

ومن خواص السورة : روي عن النبيّ ﷺ ، أنّه قال :((من قرأ هذه السورة، فكأنّما تصدّق على من طلعت عليه الشمس والقمر، ومن كان قليل التوفيق فليدمن قراءتها ، فيوفّقه اللهّ تعالى أينما يتوجّه، وفيها زيادة حفظ وقبول عند جميع الناس ورفعة)) [٤].

وقال رسول الله ﷺ : ((من كان قليل التوفيق فليدمن من قراءتها، يوفّقه اللهّ أينما توجّه، وفيها منافع كثيرة، وحفظ وقبول عند جميع الناس)) [٥].

التوازي في سورة الشمس :

لابد من الاشارة إلى ((أنّ التوازي الداخلي بين كل قرينتين على حدة: الشمس والقمر، والنهار والليل ، والشمس والارض و﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ و

(١) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي (قدس سره) ، ٢٠ / ٣٣٦ .
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي ، ١٥/ ٣٤٢ .
(٣) الشبكة المعلوماتية موقع موضوع .
(٤) البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم حسين البحراني ، ٥/ ٦٦٩.
(٥) المصدر السابق .

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ : هو تواز في التضاد و في موقع الابتداء)) [١] .

وانطلاقًا مما سبق فقد احتوت السورة المباركة على عنصر التوازي ، وكان ظاهرًا في الآيات الثانية والثالثة والرابعة بالحالة نفسها المتمثلة في :

توازي + تكرار لفظي والصيغة + مراعاة الصيغة .

فجاءت قراءتها متوازية في الابتداء بالقسم ، والانتهاء بالفعل مع ضميره فكان نفسها المتماثل كما يلي :

اداة قسم + مقسم به + اداة الشرط + فعل الشرط + ضمير [٢] .

والى ذلك فالتوازي كان مصحوبًا بتكرار على مستوى اللفظ والصيغة ، فالاول ظاهرًا في تكرار كل من (الواو اذا) اما الثاني فتمثل في المحافظة على التركيب الذي شملته الآيات الثلاثة مع الحركات الإعرابية ، فكل من التوازي والتكرار كان مرفوعًا بتوافق على مستوى الفواصل ورؤوس الآيات ، وهذا ما أدى الى تشكيل ايقاع موسيقي حقق توازيًا صوتيًا بين الآيات ، وما زاد المعنى دقة ووضوحًا الطباق الحاصل بين (٣-٤) عبر لفظي الليل والنهار والمقابلة بين ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [٣] .

إنَّ كل من: ((الطباق والمقابلة من المحسنات التي تسهم في اعطاء العبارة رنينًا موسيقيًا مخلفًا بذلك اثرًا على اذان السامع والقارئ في الوقت نفسه ، خاصة المقابلة فهي تؤثر في الأسلوب شكلًا ومضمونًا ففي الأسلوب يوجد فيه نمطًا من التوازي والتناسب له حسنه وبهاؤه ، فالألفاظ متجانسة والجمل متوازية ، والتقابل بينها يحدث اثرًا صوتيًا له قيمته في وقع الأسلوب)) [٤].

أمّا في ما يتعلق بالمضمون ((فيظهر المعنى واضحًا قويًا مترابطًا ؛ ففيها يتم ذكر الشئ

(١) الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، ٢٣٤.
(٢) ينظر: التوازي في القرآن الكريم ، ٦٨.
(٣) التوازي في القرآن الكريم ،٦٩ .
(٤) التوازي في القرآن الكريم ،٦٩.

ومقابله وعقد مقارنة بينهما ، فتتضح خصائص كل منهما ، ويحدد المعاني المرادة في الذهن تحديدًا قويًا ، وهي من هذه الناحية تشبه المطابقة إلّا إنّ قيام المقابلة على الجمل وبناؤها على المواجهة بين معنيين فأكثر يضيف لها خاصية لا توجد في المطابقة)) [١] .

وهناك تناسب في القسم في السورة وله صورتان: الأولى : في المقسم به ، والثانية : في علاقته بالمقسم عليه: ((فالتناسب في المقسم به اشتملت هذه السورة على أطول قسم في القرآن حيث بلغ أحد عشر قسمًا الشمس وضحى الشمس، والقمر والنهار والليل، والسماء وبناؤها والارض وبسطها ، ثم النفس وما ركب فيها على اختلاف في المقصود من (ما) المصدرية كما ذكرها اسم موصولة ، وهذا لن يغير في عدد الاقسام لكنه يؤثر في عدد المقسم به فهو على الأول أحد عشر وعلى الثاني تسع ؛ لأنّ المراد بـ (ما) الموصولة واحد وهو الله سبحانه)) [٢].

وقد سبق ذكر شيء من ((تناسب ألفاظ القسم وإنّه بدأ بالشمس وختم بالنفس، وكأنّه ربط للعوالم الخارجية مع النفس الداخلية ، يقول ابن عاشور: ابتدأ بالشمس لمناسبة المقام ايماء للتنويه بالإسلام ؛ لأنّ هديه كنور الشمس لا يترك للضلال مسلكًا فيه اشارة الى الوعد بانتشاره في العالم كانتشار نور الشمس في الأفق ، واتبع بالقمر لأنّه ينير في الظلام كما أنار الاسلام ابتداء ظهوره في ظلمة الشرك ، ثم ذكر النهار والليل معه لأنّهما مثلٌ لوضوح الاسلام وضلالة الشرك وذلك عكس ما في سورة الليل ، ومناسبة استحضار السماء عقب ذكر الشمس والقمر واستحضار الارض عقب ذكر النهار والليل واضحة ، ثم ذكرت النفس الانسانية لأنّها مظهر الهدى والضلال وهو المقصود)) [٣].

والتناسب بين المقسم والمقسم عليه في السورة ((إذا كنا قد عرفنا عناصر القسم وأنّها تجمع بين ثنائيات النور والظلام ، والعلو والدنو فليس من الصعب أن ندرك مناسبة الاقسام بكل ذلك في اطول قسم في القرآن على فلاح القسم وخيبتها إنّه لأمر عظيم حقاً

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه
(٢) التناسب البلاغي في سورة الشمس ، عويض بن حمود العطوي ، ٥٨ .
(٣) المصدر نفسه ، الموضع نفسه

ان يقسم الخالق بكل هذه المخلوقات العظيمة على هذه النفس وقليل من الناس من يقدر ذلك)) [١] .

وهذا التعظيم مطلوب في استشعار عظمة هذه النفس وخطورتها ، ويبقى القسم بهذه العناصر المتتالية يهيئ المتلقي لأمر عظيم يصحح عنده قيمه طالما لم يعرها انتباهًا أو تناساها[٢] .

ولإدامه القسم الذي ابتدأت به السورة وجعل الآيات منسجمة ومتناسقة ، واجتناب الفصل بينهما والحفاظ على الإيقاع الموسيقي نفسه الذي كان متوافرًا في السورة من أولها الى أخرها ، كلّ ذلك لغرض إبراز قيمة التوازي ، وهذا ما استعيير لتغيير التركيب من شكل الى أخر حيث ابتدأ بجملة القسم تليه جملة معطوفة عليها كلّ الآيات من (٥- الى ٧)

أداة الشرط + مقسم به + حرف عطف + اسم موصول + فعل الشرط الضمير

و السماء و ما بناها

و الأرض و ما طحاها

و نفس و ما سواها

والجدير بالذكر أنّ العلماء اختلفوا في إعراب (ما) في هذا الموضع فقيل بمعنى (من) أي: من بناها ومن طحاها ومن سواها ، وقيل هي مصدرية وتقديريها ؛ والسماء وبناها والأرض ونحوها ونفس وتسويتها [٣].

وإذا رجعنا الى مما سبق وجدنا توازيًا دقيقًا في كل وحدة حيث تتوازي الوحدة الأولى مع قرائنها كما يلي :

أداة القسم + المقسم به + أداة الشرط + فعل الشرط + الضمير "ها"

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه

(٢) ينظر: التناسب البلاغي في سورة الشمس ، عويض بن حمود العطوي ، ٥٨ .

(٣) ينظر: التوازي في القرآن الكريم ، ٦٩-٧٠.

بينما تتوازى جزئيات الوحدة كما يلي :

أداة القسم + المقسم به + أداة العطف +اسم الموصول (ما) + ضمير .

والملاحظ إنّ تكرار حرف العطف (و) شمل كلا الفاصلتين غير أنّه في التركيب الثاني كان بنسبة اكبر[١] .

وما يؤكد أهمية التوازي في تقوية المعنى ، إتباع جواب القسم قسمه في التوازي إلّا إنّها اخذت شكلًا مغايرًا في التركيب الذي تجلى في :

حرف تحقيق + فعل ماض + اسم موصول + فعل ماض + ضمير

قد افلح من زكى ها

قد خاب من دسى ها

جاء الضمير المستتر (الفاعل) للفعل الثاني في كلا الآيتين حفاظًا على توازيهما

كما لا يخلو التكرار والتقابل منهما ، فكان من ناحية المعنى بين (أفلح وخاب) (زكاها ودساها) وهذا النوع من التوازي يشيع في السور القصيرة ؛ تتضافر عناصر التوازي فيها لاطلاق جو من الموسيقى التصويرية لمشاهدة الكون على نهج الموسيقى[٢].

وفي سورة الشمس أحد عشر قسما، أقسم الله سبحانه وتعالى بها، مفتتحًا السورة الكريمة ((وفي هذه الأقسام الاخرى ستة منها: متزاوجة ومتقابلة فالشمس يقابلها القمر، والنهار يقابلها الليل والسماء يقابلها على التوالي: القمر والليل والارض وإذ نبحث عن مقابل للنفس ولا نجد هذا المقابل الذي يستدعيه سياق النظم في ظاهره ، فإذا أمعنا النظر قليلًا نجد أنّ النفس تضم في كيانها شئين متقابلين ، هما الفجور والتقوى ، أو أنشئت فقل الشمس والقمر، أو النهار والليل أو السماء والأرض ، ففي كيان النفس نور وظلام ونهار وليل وعلو وسفل)) [٣].

(١) المصدر السابق ، ٧١.
(٢) التوازي في القرآن الكريم ، ٧١.
(٣) التفسير القرآني للقرآن ، الخطيب ، ١٦/ ١٥٨٢-١٥٨٣.

ويقسم البارئ عزّ وجلّ بهذه ((الخلائق والمشاهد الكونية كما يقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى ، وأن يوجه القلوب لتملاها وتتدبر ما لها من قيمة وما بها من دلالة حتى استحقت أن يقسم بها الجليل العظيم، ومشاهد الكون وظواهره اطلاقاً بينها وبين القلب لغة سرية متعارف عليها في صميم الفطرة ، وأغوار المشاعر وبينها وبين الروح الإنساني تجاوب ومناجاة بغير نبرة ولا أصوات ، وهي تنطق للقلب وتوحي للروح تنبض بالحياة المأنوسة للكيان الإنساني الحي حيثما ألتقى بها ، وهو مقبل عليها متطلع عندها الى الانسان والمناجاة والتجاوب والإيحاء ، ومن ثم يكثر القرآن من توجيه القلب الى مشاهد الكون بشتى الأساليب في شتى المواضيع تارة بالتوجيهات المباشرة وتارة باللمسات الجانبية كهذا القسم بتلك الخلائق والمشاهد ووضعها اطارًا لما يليها من الحقائق)) [١] .

وفي هذا الجزء بالذات ((لاحظنا كثرة هذه التوجيهات واللمسات كثرة ظاهرة ، فلا تكاد سورة واحدة تخلو من إيقاظ القلب لينطلق الى هذا الكون يطلب عنده التجاوب والإيحاء ، ويتلقى عنده بلغة السر المتبادل ما ينطق به من دلائل وما يثبته من مناجاة)) [٢].

وهنا يوجد ((القسم الموحي بالشمس وضحاها بالشمس عامة ، وحين تضحى وترتفع عن الافق بصفة وهي أروق ما تكون في هذه الفترة وأحلى في الشتاء يكون وقت الدفء المستحب الناعش ، وفي الصيف يكون وقت الاشراق الرائق قبل وقت الظهيرة وقيظها فالشمس في الضحى في أروق أوقاتها وأصفاها ، وقد ورد أنّ المقصود بالضحى هو النهار كلّه ، ولكنه لا يرى ضرورة للعدول عن المعنى القريب الفصحى وهو ذو دلالة خاصة)) [٣].

ويضيف سيد قطب قائلًا : ((يقسم بالنهار إذا جلاها ؛ مما يوحي بأنّ المقصود بالضحى هو الوقت الخاص لا كلّ النهار والضمير في ﴿جَلاهَا﴾ الظاهر أن يعود الى الشمس

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٣٩١٦.
(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٣٩١٦.
(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٣٩١٦.

المذكورة في السياق ، ولكن الايحاء القرآني يشير بأنّه ضمير هذه البسيطة ، وللأسلوب القرآني ايحاءات جانبية كهذه معبرة في السياق لأنّها معدودة في الحس البشري يستدعيها التعبير استدعاءً خفيًا فالنهار يجلي البسيطة ويكشفها للنهار في حياة الانسان اثارة يعلمها، وقد ينسى الانسان بطول التكرار جمال النهار واثره ، وفي مثل هذا السياق توقظه وتبعثه للتأمل في هذه الظاهرة الكبرى)) [1]

ويشير أيضًا بالقول: إنَّ التغشية في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ هي مقابل التجلية والليل غشاء يضم كل شيء ويخفيه ، وهو مشهد له في النفس وقع ، وله في حياة الانسان أثر كالنهار سواء ثم يقسم بالسماء وبنائها ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ ، و(ما) هنا مصدرية ولفظ السماء حين يذكر يسبق الى الذهن هذا الذي نراه فوقنا كالقبة حيثما اتجهنا ، تتناثر في النجوم والكواكب السابحة في أفلاكها ومدارتها ، وأمّا حقيقة السماء فلا ندريها وهذا الذي نراه فوقنا متماسكا ًلا يختل ولا يضطرب تتحقق فيه صفة البناء بثباته وتماسكه ، أمّا كيف هو مبني وما الذي يمسك أجزاءه فلا تتناثر وهو سابح في الفضاء الذي لانعرف له أولًا وآخرًا)) [2] .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم النعم والصلاة والسلام على محمد وآله وسلم أحمد الله واشكره أن وفقني لإنجاز هذا البحث المتواضع في وريقات عدة ، والوصول الى خاتمته المتمثلة في :

* التوازي ظاهرة لغوية متفق على تعريفها اللغوي مع تعريفات عدة (التساوي –التعادل – التماثل) .

*إنّ التوازي نوع من أنواع السجع فهو إذن محسن بديعي .

* التوازي يضيف قيمة فنية الى الكلام نثرًا وشعرًا وتزيده جمالًا ورونقًا .

* إنّ أكثر الفنون ملازمة للتوازي هي التقابل والتكرار .

(١) المصدر السابق .

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب ٣٩١٦.

* التوازي في القرآن الكريم ظاهرة بارزة يشهد له تواتر الثنائيات المتشابهة فيه .

* للتوازي في القرآن الكريم ثلاثة ألوان توازٍ دقيق يبلغ التكرار ، وتوازٍ متجانس، وتوازٍ أقل تجانسًا .

المصادر والمراجع

١-الأسلوبية الصوتية ، محمد صالح الضالع ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠٠٢م.

٢- الأسماء والصفات ، ابو بكر البيهقي ، تحقيق عبد الله الحاشدي ، مكتبة السودي ، السعودية ط١ ١٩٩٣م.

٣-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، دار النشر لمدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ط١ قم – إيران ١٤٢٦هـ ق -١٣٨٤هـ ش .

٤- البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم حسين البحراني تحقيق ، قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة ط ،١ قم ١٤١٣هـ ق.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى (ت٨١٧هـ) ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، ط٣ القاهرة - ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٦- التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٩٤م .

٧- التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية) ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء– المغرب – ط ١، ١٩٩٦م .

٨- التفسير الحديث ، محمد عزة دروزة ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي- بيروت ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٩- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي (د ط) القاهرة (د ت) .

١٠- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط٢ القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١١- جمال القراء وكمال الأقراء ، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد المعروف بعلم الدين السخاوي (٥٥٨-٦٤٣هـ) ، تحقيق وشرح وتعليق مروان العطية ومحسن خرابة ، دار المأمون للتراث ط١ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

١٢- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ١٩٩٥م .

١٣- في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك ، المكتب المصري الحديث (د ط) (د ت) .

١٤- في ظلال القرآن ، سيد قطب دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

١٥- القول الوجيز في قواعد الكتاب العزيز ، شرح العلامة الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان المكنى بأبي عيد المعروف بالمخللاتي ١٣١١هـ ، تحقيق وتعليق عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى ، ط١ المدينة المنورة -١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .

١٦- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ بيروت- لبنان١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٧- معجم العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت/ لبنان ص ٧١٢٠.

١٨- الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١محققة منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٩- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي(ت:٧١١هـ)، تح/ عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة– ج م ع، (د. ط)، (د. ت) .

ثانياً: الرسائل والاطاريح والدوريات:

١- بلاغة التوازي في السور المدنية العربي ،عبد الله ، رسالة ماجستير جامعة وهران ، الجزائر

٢- التناسب البلاغي في سورة الشمس ،عويض بن حمود العطوي ، المملكة العربية السعودية (بحث منشور) ، مجلة الآداب م٢٦ ع١ ، جامعة الملك سعود – الرياض - السعودية

٣- التوازي في شعر الشافعي ،عبد الله الهبيل (بحث منشور) ، مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات العدد الثالث والثلاثون (٢) حزيران ٢٠١٤ .

٤- التوازي التركيبي والصرفي في القرآن الكريم ، أنصاف عبد الله الحجايا رسالة ماجستير .

٥- التوازي في القرآن الكريم دراسة في النظم الصوتي والتركيبي الربع الأخير انموذجًا، سهيلة زتون ، رسالة ماجستير ، جامعة الشهيد حمة لخضر .

٦– التوازي ولغة الشعر، محمد كنوني (بحث منشور) ، مجلة فكر ونقد الدار، البيضاء - المغرب العدد١٨ – ١٩٩٨م .

ثالثاً : المواقع الالكترونية :

١- موقع منتدى الكفيل .

٢- موقع موضوع .

إذا الشمس كورت